



السّمات الأسلوبية للصّوت في إطار اللفظ في خطب محمد البشير

الإبراهيمي

The Stylistic Features of sound Articulation in the Speeches of Mohamed El Bachir El Ebrahimi'

نسيم حرّار

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ الجزائر.

nassim1986bba@gmail.com

تاريخ القبول: 2019-05-26

تاريخ الاستلام: 2018-02-28.

الملخص:

عَرَفَت الْخَطَابَةُ عِنْدَ الْإِبْرَاهِيمِيِّ إِدْرَاكَ الْخَطِيبِ الْعَمِيقَ لِأَهْمِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّهَا عِنْدَ الْإِبْرَاهِيمِيِّ وَوَعَاءُ الْفِكْرِ، وَأَدَاةُ التَّوَاصُلِ، وَلِسَانُ الدِّينِ الْحَنِيفِ بِقِرَائِهِ وَسُنَّتِهِ، وَتَرَاثِهِ وَحَضَارَتِهِ، كَمَا أَنَّ عَاشَ عَلَى حِلْمِ رُؤْيَا وَطَنِهِ مَتَحَرِّراً، يَرْتَقِي إِلَى أَسْمَى الدَّرَجَاتِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ الْأُخْرَى وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَوَاقِفِهِ الْمُنَاهِضَةِ ضِدَّ الْمُسْتَعْمَرِ، وَكَذَلِكَ عِنَايَتُهُ بِالْأَسْلُوبِ، فَقَدْ كَانَ أُمَّةً وَحِدَهُ فِي نِصَاعَةِ الْأَسْلُوبِ وَشَرَفِ الْبَيَانِ، فَكَانَ بَلِيغَ زَمَانِهِ.

الكلمات المفتاح -

الخطابة، الإبراهيمي، الصّوت

Summary-

The Speech At Ibrahimi Was An Awareness Of The Importance Of The Arabic Language Because It Is The Title Of Identity, The Vessel Of Thought, The Instrument Of Communication, The Tongue Of The True Religion With Its Qur'an And Its Sunnah, Its Heritage And Its Civilization. It Also Lived On The Dream Of Seeing Its Homeland Free, The Anti-Colonialist, As Well As His Great Care In Style, Was A Nation Alone In The Style And The Honor Of The Statement, Was Eloquent Time.

Keywords -

The Public Speaking ؛

Al ibrahimi ؛ The voice

تقديم:

أحاول في هذا المقال تقصي الخطابة عند البشير الإبراهيمي، وتقصي أهم خصائصها من حيث البناء الصوتي أولاً والدلالي ثانياً، وأثر هذين الجانبين في نفسية المتلقي؛ فركزت على دراسة السمات الأسلوبية للصوت في إطار اللفظ في خطب محمد البشير الإبراهيمي وفقاً لما سيلبي ذكره.

1 - التكرار:

يعد التكرار من أهم السمات الأسلوبية في اللغة الأدبية «ويرى جورج مولينييه Molinié george أن الوسيلة الوحيدة التي لا خلاف حولها لاكتشاف واقعة لغوية وتحديدتها في البرغماتية الأدبية ويمكن لإعادة الواقعة اللغوية - لتضعيفها البسيط - أن يأخذ شكل تكرار الدال مع مدلول واحد أو تكرار الدال

مع مدلول يحقق من جديد في كلّ مرّة، أو تكرار مدلول مع دلالات مختلفة»[□]، كذلك يُعدّ التّكرار من الظواهر الأسلوبية الفاعلة والفعّالة داخل النّص بأنواعه، حيث يُضفي عليه تناغما موسيقياً خاصاً، إضافة إلى تقوية المعاني وتأكيدهما، والتأثير في نفوس المتلقين، كما «تتحقق عبر التّكرار جملة من الوظائف أهمها إثارة انتباه المتلقين وتكثيف الإيقاع الموسيقي في الخطابة وتوكيد الظاهرة المكرّرة والتعبير عن مدى أهميّتها بالنسبة للمتلقّي»^١.

ولا بدّ أن أشير بداية أن البلاغيين القدامى لم يعتنوا عناية كافية بهذه الظاهرة، فقد كان أسلوب التّكرار ثانوياً في اللغة آنذاك، فلم تقم حاجة إلى التوسّع في تقويم عناصره وتفصيل دلالاته^٢

وقد نبّه ابن رشيق إلى مواطن جمال التّكرار ومواطن قبحه فقال: « أكثر التّكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه»^٣. ويقرّ القدماء عموماً بأنّ التّكرار سنّة من سنن العرب في كلامها وقد عزاه ابن فارس إلى «إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»^٤.

إنّ التّكرار في بعض الأحيان قد يثير الملل أو الرّتابة في نفس القارئ أو السّامع على حدّ سواء ويحطّ من قيمة صاحب الأثر كمبدع، إلّا أنّنا ملزمون بالبحث في سرّ اللّجوء إلى هذه الظاهرة الأسلوبية دون سواها عند كل مبدع كما أنّنا من ناحية أخرى نحاول اقتراح التّأويلات المناسبة، وإيجاد الإيحاءات القريبة والبعيدة التي ترمي إليها التّراكيب المكرّرة، إذن فالتّكرار يلعب دوراً كبيراً في

1 - محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002، ص 183.

2 - نور الدّين السد، المكونات الشعرية في بائية مالك بن الرّيب، مجلة اللغة والآداب، عدد 14، د ت، 38.

3 - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14، 2007، ص 275.

4 - ابن رشيق، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 2، 2006، ص 360.

5 - ابن فارس، الصاحب في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، علق عليه أحمد حسن يسج، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 158.

تأكيد بعض المعاني والإلحاح عليها لتأكيد رؤية محدّدة في النهاية، كما يمكن للتكرار أيضا أن يضيف الدلالة السّاحرة التي تنتقد أوضاعا بعينها أو أشخاصا أو مواقف أو أحداثا أو سياسات وهكذا...

وقد اعتنى المحدثون بظاهرة التكرار وميّزوا أنواعا ثلاثة منه:

أ - التكرار البياني: وهو أبسط الأصناف جميعا وهو الأصل، وغرضه التأكيد على الكلمة أو العبارة المكررة.

ب - تكرار التقسيم: وهو تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة من الخطبة.

ج - التكرار اللّاشعوري: يأتي في سياق شعوريّ كثيف يبلغ أحيانا درجة المأساة.

«وإذا كان المحدثون تبوؤوا ظاهرة التكرار منزلة رفيعة في صناعة الإيقاع، إلّا أنهم لا يسلمون بجمالها فبعض التكرارات متكلّفة، سامجة، تافهة»¹.

1- 1 استصحاب الدال والمدلول:

أ - التكرار الكلمي:

هو وسيلة من الوسائل السحرية التي تعتمد على تأثير الكلمة المكررة في إحداث نتيجة معيَّنة في العمل النثري، إذ هو في داخله يعمل نزعة طقوسية توحى بغموض المعنى الذي يثيره الدّهن والتكرار هو مجموعة الحروف والكلمات اللغوية الفعلية وهو يعدّ أشبه بمفهوم الكلام في المصطلح اللغوي الحديث و«تكرار الكلمات يبنى من الأصوات بحيث يستطيع الأديب بها خلق جوّ موسيقي خاصّ يشيع دلالة معيَّنة وهو أسلوب قديم لكنّه أصبح على يد السارد اليوم تقنية صوتية بارزة»².

وما يلاحظ في خطبة الإبراهيمي "الإسلام في الجزائر" أنّه عمد إلى تكرار كلمات معيَّنة تتلاءم وطبيعة موضوع الخطبة فجدّه كرر كلمة الإسلام ثلاثة وثلاثون مرة وفي هذا دلالة على اهتمامه بالإسلام وعمد إلى تكرار هذه اللفظة من أجل ترك أثر في نفسيّة المتلقّي، فهو يريد شدّ انتباهه وتوجيه

1 - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 286 - 290.

2 - مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ص 30 - 38.

تركيزه، وهذا ما يجعل ذهن المتلقي يقضا للمعنى المقصود والمشار إليه في غالب الخطاب، ويصبح معنى لفظه الإسلام حاضرا كمحور تدور حوله معاني هذا الخطاب.

كما يلاحظ أيضا من جهة أخرى في خطبة "موالاة المستعمر خروج عن الاسلام"¹ أن الإبراهيمي عمد إلى تكرار لفظة «الحرب» أربع مرات في فقرة، في قوله «وأنما هي حرب... وفي الحرب ميدان الصّراع»² وفي هذا دلالة أو تنبيه لما يفعله المستعمر المستبدّ الغاشم ضدّ الشعب الضعيف الأعزل، فهو يريد أن يوصل رسالة إلى ذهن المتلقي عن حقيقة الاستعمار وما يفعله وكذا تجسيد صورته المتوحّشة ولفظة أتمثله في خطبة "الشّاب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"³ تكرّرت في بداية كلّ فقرة، فهنا نرى أن الإبراهيمي يأمل ويرجو من خلال تكراره للفظة أتمثله خلق صورة عند المتلقي لشخصية الشّاب الجزائريّ كما يريد بها بوصف هذا الأخير ببعض الصفّات ونذكر من قوله مثلا: «أتمثله محمديّ الشّمائل غير صحّاب ولا عيّاب...»⁴، فالخطيب يريد أن يحظى بما يراه في مخيلته عن الشّاب الجزائريّ كما تمثله له خواطره، فهو متلهّف لأن يرى الصفّات التي يتمنّاها تتجسّد في أبناء وشباب أمّته، ومن جهة أخرى فإنّ دلالة تكرار لفظة أتمثله أيضا هو أنّه متفائل بالشّباب الجزائريّ وبأنّ الصفّات التي أعطاه إياه ليست بالأمر المستحيل ولا بالشّيء العسير، لذا نراه وكأنّه يؤكّد بكيانها عند كلّ تكرار للفظة «أتمثله».

ب - تكرار المادّة الاشتقاقية:

وهو نوع من التّكرار الكلمي ويُقصد به جذر الكلمة الأساسية ونلمح في خطاب الإبراهيمي هذا النوع من التّكرار، ففي خطبة "الإسلام في الجزائر"⁵ نرى بأنّ الإبراهيمي تعمد استعمال ألفاظ وتكرارها لكن بألفاظ أخرى مشتقة

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 71 - 75.

2 - المرجع نفسه، ج5، ص 70.

3 - المرجع نفسه، ص 509 - 517.

4 - المرجع نفسه، ج3، ص 511.

5 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 71 - 75.

من اللفظة الأصلية في الفقرة «...ثوب الباطل أبطل...للجماعات الفاضلة»¹، نلاحظ أن الخطيب كرر المادة المشتقة «بطل» ثلاث مرات وقد أظهر هذا التكرار صوت «الباء» و«الطاء» و«اللام» في كل لفظة، فهو هنا لم يرد استعمال أو تكرار المادة المشتقة «بطل» رغم تمسكه بها، بل كان يريد أن يكون بعيدا عن التكرار الممل الذي يفسد متعة المتلقي، مما جعله يستعمل مشتقاتها (باطل - بطل - بطلت).

وكذلك هناك دلالة أخرى في استعمال مشتقات لفظة بطل، وهي أن الاستعمار حاول تغيير بعض السمات في الجزائر عامة والشعب خاصة فلم يجد إلا هذه الوسيلة ليصف لنا حالة المستعمر فتعمد في كل مرة استعمال لفظة مشتقة ليبين لنا أن الاستعمار استعمل مختلف الوسائل مع الشعب الجزائري، فكلما نوع في اللفظة زاد من تأكيدها وقوة معانيها.

نرى أن الخطيب أيضا في خطبة "شرعة الحرب في الإسلام"² تعمد استعمال المادة المشتقة وتكرارها حيث تكررت المادة المشتقة دم أربع مرات في فقرة واحدة يقول «من لوازم الحرب سفك الدماء...ولا إجحاف ولا ظلم»³، فنلاحظ هنا أنه كرر لفظة الدم بشكل كثير لأنه يرى بأن الدماء هي شيء ثمين في الحرب فعمد إلى تكرار لفظة الدم لكن مع تبديلها بمشتقاتها (الدماء - دمه - دماؤهم) فهو تجنب تكرار لفظة الدم في كل مرة ونوع في أسلوب كلامه واختار مواضع التغيير في اللفظة لتشكل خطابا منسجما من حيث اللغة ومن حيث البناء الموسيقي، وتكرار لفظة الدم بمشتقاتها دليل على أن الإبراهيمي يرى في الحرب دما أكثر من رؤيته للحرب قتال فهو يبرز ويوضح لفظة الدم وكان خطابه يدور حول هذه اللفظة، لما لها من أهمية كبيرة خاصة وأن الإسلام قد أثبت وأكد ذلك.

1 - المرجع نفسه، ص 74.

2 - المرجع نفسه، ص 92- 94.

3 - المرجع نفسه، ص 92.

ج - تكرار الجملة:

في بعض الأحيان قد لا يكتفي السارد أو الأديب بتكرار حروف أو كلمة، مما يجعله يُكرّر جملة محدّدة لأنّه قد يرى في تكرار جملة قوّة أكبر للمعنى وربما يجعل المتلقّي يركّز أكثر في الموضوع المطروح لأنّ تكرار الجملة يُلفت الانتباه في أغلب الأحيان، خاصّة في الخطاب، ونلمح تكرار الجملة في خطبة البشير الإبراهيمي "الشباب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"¹، حيث عمد إلى تكرار جملة «يا أبناء الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا» عدّة مرّات وهو بهذا يوجّه نداء «يا أبناء الجزائر» وهذا قصد التخصيص إذ أنّ هذا الخطاب موجّه لطائفة معيّنة هم أبناء الجزائر لا غير، كما أنّه يدلّ على علاقتهم بوطنهم الوطيدة وهي علاقة نبوّة، كما نلمح أيضا بأنّه يُلوّح إلى شيء وهو تحريض شباب الجزائر على تغيير واقعه المزمري واستبداله بواقع أفضل يضمن مستقبلا مزدهرا وسعيدا، حيث يكون هؤلاء الشّباب الدّور الفاعل في هذا الواقع.

وتُعتبر جملة «يا شباب الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا» جملة إنشائية تتضمّن النداء وغرض الإبراهيمي من استعمال النداء وتكراره له في كلّ مرّة هو شحذ همم شباب الجزائر ولفت انتباههم، وتحريك مشاعرهم وتوجيه أفكارهم وذلك بتذكيرهم بماضي أجدادهم السّعيد ليبنوا على أنقاضه حاضرهم ومستقبلهم، ويريد أيضا أن يرفع هؤلاء الشّباب راية وطنهم عالياً لتبقى الجزائر خالدة كما كانت قبلا.

وكذلك نلاحظ تكرار جملة السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته عند كل بداية ونهاية أي خطبة من خطبه ويعمد إلى استعمال أو تكرار هذه الجملة في كلّ مرّة لأنّها طبيعة نشأت أو غُرس في روح ونفسيّة الإبراهيمي ولأنّه من قواعد الخطبة البداية بالسّلام والنّهاية فهو يتقيّد بتعاليم الدّين الإسلاميّ وقواعد الخطبة، وكذلك أيضا يبيّن تكرار هذه الجملة في كلّ مرّة على التواضع واحترام الغير فقد كان إنسانا متديّنا متمسّكا بأحكام وقواعد دينه، مؤدّيا لها ساعيا لنشرها وغرسها في مجتمعه، أملا أن يرى ثمرة نتاج بلده.

¹ - المرجع نفسه، ص 509 - 517.

1 - 2- تكرار الصيغة الصرفية:

عرّف علماء العربية الصّرف بأنّه العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعراباً ولا بناءً، «والتّصريف هو تحويل الكلمة من بنية إلى أخرى بالزيادة والحذف وتغيير الحركات والإبدال والإعلال»¹، وغايته توليد صيغ تعني اللّغة وتقدّم لها مفردات لا تحصى كالفعل في أزمنته الثلاثة، وهذا من شأنه أن يمدّ اللّغة بالنّماء ويسرّ لها القدرة على التغيّر في مختلف مراحلها التّاريخية.

وسأهتمّ في هذا الجزء من هذا المقال بدراسة بعض الصيغ الصرفية في خطب الإبراهيمي حيث تظهر لنا الكلمة في تغيّرات معنوية، وتفاعل مستمرّ، ونموّ متواصل فيبرز بروزاً جمالياً، ذلك لكشف أسرار اللّغة وتحديد نظامها المتبينّ في فترة من فتراتنا التّاريخية.

أ - تكرار الصيغة أفعال:

ومن دلالاتها الشّهيرة التعدية والسلب والكثرة والتعريض وغيرها وقد عمد الإبراهيمي إلى استعمال هذه الصيغة في خطبته "الشّاب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"²، عدّة مرّات فقد ورد مثلاً أمدح، أخضر أوجس، أشرح... فهذه الأفعال أصبحت متعدية بدخول هذه القطع عليها، ولكل لفظة منها دلالاتها الخاصة فصيغة أمدح قد دلّت على مدح الرّمح فقد ورد في خطابه «وكالرّمح أمدح ما يوصف به أن يُقال ذابل»³، فهنا نلاحظ أنّه عمد إلى استعمال هذه الصيغة ليس من أجل أن يبيّن ضعف الرّمح بل هو يريد أن يُوصل رسالة إلى المتلقّي بأنّ الرّمح دائماً قويّ ومهما ضعف الرّمح فإنّه دائماً يبقى ذلك الشّيء الثّمين الذي كان قوياً ذات يوم وأنّ أقلّ شيء يوصف به هو الذابل وتكرار هذه الصيغة يزيد من الجرس الموسيقي مما يلفت انتباه المتلقّي.

1 - فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، كلية الأدب، 1978، ص 13.

2 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 509 - 517.

3 - المرجع نفسه، ص 516.

ب - تكرار الصيغة فَعَلَ:

وقياسها في المضارع يفعل مثل يُخَاطَب وقد وردت هذه الصيغة في خطاب (البشير الإبراهيمي كثيرا ونلمح هذا في خطبته "عبرة من ذكرى بدر"¹ فقد ذكر « شهدا، تخرج، يعرفه، تجد، أتتهما، ينطف، بناها، بناه، بين، شاء، شلت، فعل، يعج، وجدت، نفع، وجدت، نفع، أوتي، ليست، وعد، وجد... »

وقد وردت بمعان مختلفة بين سياقات النفي والنصح والتوجيه، وإثارة المشاعر داخل المتلقين فالإبراهيمي يريد أن يوصل جملة من العبر تضمنتها هذه الصيغة، إذن فهي رسالة نبيلة من شخص يحترق قلبه لأجل إيصال شيء مفيد إلى آذان المستمع، وحلمه الوحيد هو أن يكون قادرا على إفادتهم من جهة ويأخذوا بدورهم عبرا من جهة أخرى.

ج - تكرار الصيغة فاعل:

ويدل هذا البناء على اسم الفاعل الذي هو صفة الفاعل ويكون على وزن فاعل قياسا واسم الفاعل يكون فيه « المعنى القائم بالوصف متجددا بتجدد الأزمنة »²، وهذا يعني استمرار تلك الصفات، وصيغة فاعل تعطي موسيقى رتيبة وثابتة خصوصا إذا استمرت متصلة في الكلام.

وقد تطرق الإبراهيمي إلى استعمال هذا النوع من الصيغ الصرفية ونجد هذا في خطبته "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"³ فكان استعماله لها في مواضع كثيرة « واسع، يافع، ناهض ثابت، دافق، واضح... » فهنا حاول وصف الشباب بمختلف الصفات مما جعله يستعمل الصيغة الصرفية فاعل فهي تدل أكثر مما يدلّه الفعل فهذه الصيغة إلى حد بعيد قد يكون فيها نوع من المبالغة.

2 - استصحاب الدال دون المدلول:

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 83- 85.

2 - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، 2003، ج 1. ص 131.

3 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص 509- 517.

يتعلق هذا النوع من التكرار بالمضمون « ويبنى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى»[□]، تكون على مستوى المفردة أو الجملة، ويشمل الترادف وشبه الترادف والعبارة المتوازية فالترادف وشبه الترادف يكونان بين مفردتين أو أكثر في جملة واحدة أو في جملتين متتابعتين، أما العبارة الموازية فتكون بين الجمل المتوالية.

ويؤدي هذا النوع من التكرار وظيفة إقناعية تأثيرية لدى المتلقي عن طريق اتساع المعاني المكررة بما يماثلها من ترادفات وعبارات لها دلالات مشتركة ومعان جزئية خاصة، تلتقي في معنى عام في ذهن هذا المتلقي الذي يتمكن من الإحاطة بالموضوع واستيعابه واستحضاره كلما لزمه ذلك.

أ - التجنيس :

من إرهاصات التكرار الصوتي توليد ما يسمّى بالجناس اللفظي الذي يعدّ من الفعاليات المؤثرة في الأداء النثري على المستوى الصوتي والدلالي، ويعدّ هذا الأخير من مقومات الإثارة الفنية وهو من أهم أبواب البديع في البلاغة العربية.

الجناس لغة: مصدر جَانَسَ الشَّيْءَ إِذَا شَاكَلَهُ وَاتَّحَدَ مَعَهُ فِي الْجِنْسِ... وَيُقَالُ لَهُ التَّجْنِيسُ مَصْدَرُ جِنْسٍ لِأَنَّهُ فَعَلٌ مَصْدَرُهُ التَّنْفِيعُ، وَيُقَالُ لَهُ التَّجَانُسُ أَيْضًا، وَهُوَ تَفَاعُلُ الْجِنْسِ وَتَجَانُسُ الشَّيْءِ إِذَا دَخَلَ فِي جِنْسٍ وَسُمِّيَ هَذَا النَّوعُ جِنَاسًا لِمَجِيءِ حُرُوفِ أَلْفَاظِهِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَمَادَّةٍ وَاحِدَةٍ.¹

الجناس في اصطلاح البلاغيين:

عرّفه الخطيب القزويني بقوله «وأما اللفظي منه أي من علم البديع فمنه الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ»²، وعرّفه علي الجازم بقوله «هو تشابه اللفظتان في النطق واختلافهما في المعنى»[□].

¹ - محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، عدد 66،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف 2002، ص 66.

² - صلاح الدين الصريفي، جنان الجناس في علم البديع، سمير حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت، ص 23- 24- 25.

³ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المطبعة النموذجية، مكتبة الإسكندرية، د ط، 1989، ص 77.

وينقسم الجنس إلى قسمين :

الجناس التام :

عرّف أحد المحدثين الجنس التام فقال «أنّه توازن وتمائل كامل في الشكّل والصورة الخارجيّة، يعتمد التكرار والإعادة لحدّي الجنس»^١، وشرط الجنس التام أن تتفق حروف اللفظتين في عددها وترتيبها ونوعها وضبطها وهذا القسم أفضل أنواع الجنس؛ وليس توظيف هذا النوع من الجنس في بنية الخطاب عبثاً أو ملء فراغ، وإنّما لاستعماله مقاصد وغايات يرمي المنشئ من خلالها إحداث نغم موسيقيّ ترتاح له النفوس.

لم يرد الجنس التام في الخطب التي درسناها سوى مرة واحدة في خطبة "الشاب الجزائريّ كما تمثله لي الخواطر"^٢، حيث يقول: كأنّه ذو سكن، في السكّن، فنلاحظ أنّه الجنس التام الوحيد الذي استعمله الإبراهيمي في خطبته والجناس بين كلمتي سكن الأولى وسكن الثانية تشتركان في كلّ شيء ما عدا المعنى؛ حيث الأولى تعني الهدوء والسكينة والاستقرار، في حين الثانية تعني قبيلة قحطانيّة، والجناس هنا مرتبط بالمعنى ولا دخل للصنعة فيه، فاستعمال هاتين الكلمتين معا من أجل تقريب المعنى لا طلباً للنغمة الموسيقيّة، إلا أنّنا نرى أنّهما تحقّقا معا، وبذلك حدث التحام بين الصوّت والدلالة.

يمكن القول بأنّ الجنس التام نادر التوظيف في خطبة الإبراهيمي ومع ذلك قام بوظيفة حيويّة في إحداث الإيقاع.

الجناس الناقص:

هو «الجناس الذي يحدث بين لفظه خلاف في أحد الشّروط الأربعة الواجب توافرها في الجنس التام وفي أنواع الحروف، عددها، ضبطها، وترتيبها»^٣.

1 - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف المصرية السعودية، القاهرة، ط2، 2004، ص265.

2 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء، عمان، ط1، 2002، ص572.

3 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص509 - 517.

4 - المرغاي أحمد حسن، علم البديع، ص114.

وقد عمد الإبراهيمي إلى هذا النوع من الجناس بشكل كبير ومن أمثلة الجناس الناقص الواردة في الخطبة "نضحات من ذكرى فتح مكة" □ ما سنبينه في الجدول التالي:

الشكل 1: يمثّل بعضاً لأنواع الجناس الناقص الوارد في خطبة نضحات من ذكرى فتح مكة.

الجناس الناقص	نوعه	أثره الصوتي في الدلالة
مناهل - مجاهل	اختلاف في حرف واحد	إحداث تناغم
مسيكية - ملكية	زيادة حرف واحد	موسيقى وإضفاء
عنبرية - برية	زيادة حرفين	جمالية ورنّة في تركيب النص
ريحان - ألحان	اختلاف في حرف	
عافية - شافية	اختلاف في حرف	
محجل - معجل	اختلاف في حرف	

المصدر: إعداد نسيم حرار.

لقد اعتمد الإبراهيمي خلق هذا النوع من البديع في خطبته لأنه يساهم بشكل كبير في تحقيق التأثير السمعى لدى الملتقى ويجذب اهتمامه لسماع الخطبة فقد تعمد إلى استعمال هذا النوع من البديع لأنه يجعل من الملتقى أو السامع يطلب المزيد لإشباع فضوله المعرفي، فهو يتطلع إلى المزيد دائماً فمثلاً عنبرية - برية جناس ناقص لأن هناك اختلافاً بين الكلمتين من حيث عدد الحروف وهما حري في العين والنون.

3 - الطباق والمقابلة:

يعدّ علماء البلاغة الطباق والمقابلة في المحسنات البديعية يقول القزويني في سياق حديثه عن المحسنات البديعية «أما المعنوي، فمنه المطابقة وتسمى الطباق

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 86 - 88.

والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في جملة»[□] ، وعرف الطباق «هو الجمع بين الضدين أو الشيء وضده في الكلام»^١ .
 أما قدامة فقد سمى الطباق «التكافؤ»^٢ ، وتكون المطابقة إما بلفظين من نوع واحد أي يكون اللفظان اسمين أو فعلين أو حرفين ، أو تكون المطابقة لفظتين من نوعين أي بين اسم وفعل «وهناك ثلاثة أنواع من الطباق مطابقة السلب - مطابقة الإيجاب - إبهام التضاد»^٣ .

أما المقابلة فقد عرفها القزويني بقوله «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب»^٤ وهي نوعين: المقابلة اللغوية والمقابلة السياقية، وفي الأولى تكون العلاقة بين المتقابلين اختيارية وتتمثل في استعمال لفظين اثنين متضادين بحكم الوضع اللغوي[□] أما الثانية فتكون علاقة المتقابلين فيها توزيعية، فتقابل الشقين في هذا النوع ليس مرجعه إلى الوضع اللغوي، وإنما إلى أسلوب السارد وحده^٥ .

وقد اجتهد البلاغيون في التمييز بين الطباق والمقابلة وهم متفقون على أن المقابلة بين الأضداد، فإذا تجاوز الطباق ضدين كان مقابلة[□] ، ونحن في دراستنا هذه لن نهتم كثيرا بتلك التقسيمات، بل إن ما يهمنا أكثر هو دور التقابل في التشكيل الصوتي للخطاب، وإسهامه في تحقيق التفاعل بين اللفظ والدلالة.

1 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 176.

2 - المراغي أحمد حسن، علم البديع ، ص 67.

3 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص 147.

4 - المراغي أحمد حسن، علم البديع، ص 67 - 68.

5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 322.

6 - محمد الهادي طرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، دار النشر، المجلس الأعلى للثقافة، دط، 1996، ص 96.

7 - المرجع نفسه، ص 102.

8 - ابن رشيق، العمدة، ص 304.

ونبدأ دراستنا بالطباق في خطبة الإبراهيمي "موالاة المستعمر خروج عن الإسلام"¹، نلاحظ أنه تطرّق إلى استعمال هذا النوع من البديع ومن أمثلة الطباق في الخطبة الجدول التالي:

الشكل 2: يمثل بعضاً لأنواع الطباق الوارد في خطبة موالاة المستعمر خروج عن الإسلام.

الطباق	نوعه	أثره الصوتي في الدلالة
يبيح - - - - -	سلب	إضفاء جرس
- - - لا يبيح	إيجاب	موسيقى من خلال
- - - - - انتزاع	إيجاب	انسجام الألفاظ
- إعطاء	إيجاب	وتجاورها وتناغمها لمزيد
- يحالف	إيجاب	من إيضاح الدلالات والمعاني.
- يخالف	إيجاب	
- السلم	إيجاب	
- - - الحرب	إيجاب	
- - - الضعيف		
القوي		
- - - - - حليفه		
- - - عدوّه		
- - - - - جوامع		
- - - - - فوارق		
- - - - - أفراد		
- - - - - جماعات		

المصدر: إعداد نسيم حرار.

¹ - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص68 -70.

من خلال دراسة الخطبة نلاحظ أنّ الطّباق قد ورد بشكل كبير وهذا ما استلزمته طبيعة الخطبة وقد اعتمد الإبراهيمي استعمال الطّباق بنوعيه لأنّه يرى أنّه من أهم الوسائل اللغويّة التي تنقل الإحساس بالمعنى والفكرة والموقف نقلا صادقا عن طريق التّنائيات المتضادّة، ولأنّ المفردات يمكن أن تُفهم بأضدادها فاستعمال الطّباق يُقرب المعنى ويوضّحه أكثر لدى المتلقي وكذلك يلعب دورا مهماً وأساسيا في تقويض انفعالات السّارد أو الأديب وكذلك أحاسيسه نحو موضوعه، هذا بالإضافة إلى إضفاء وإكساب جماليّة على النّص.

وفيما يتعلق بالمقابلة في خطبة الإبراهيمي "موالاة المستعمر خروج عن الاسلام"¹، نذكر «فالإسلام دين الحرّية والتّحرير والاستعمار دين العبوديّة والاستعباد»²، تظهر المقابلة في هذه الجملة واضحة جليّة فاستعمل كلمتين في المقطع الأوّل من الجملة واستعمل أضداد الكلمتين في المقطع الثّاني منها مثلا: (الحرّية - العبوديّة، التّحرير - الاستعباد)، فوظف طباقين وأتى بهما في جملة واحدة فأصبحت مقابلة وغموض الإبراهيمي من هذا أن يقلّ الشّطر الأوّل بصورة والشّطر الثّاني بنقيضها كذلك الغرض الآخر هو من أجل زيادة تكرار الأصوات ذاتها (الحرّية - التّحرير، العبوديّة - الاستعباد) فكلّ ثنائيّة من الثّنائيتين تتشابه حروفها فيما بينها مما جعلنا نلتمس تكرارا في الأصوات أضفى جرسا موسيقيا يزيد من جمال وقوّة المعنى .

1 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص86 - 88.

2 - المرجع نفسه، ص68.

خاتمة:

لقد كان التكرار بجميع أنواعه ظاهرة أسلوبية لافتة في خطب (الإبراهيمي)؛ إذ وظفه للتعبير عن مشاعره، وقد ترجم التكرار حالة الأديب النفسية المتألّمة والمضطربة، فتوظيفه للتكرار تنفسٌ لآلامه وأوجاعه.

- تعدد الصيغ الصرفية، والتنوع في استعمالاتها ودلالاتها، لما لها من أثر في الكشف عن جماليات النص؛ لأنّ توظيف اللفظة المختارة في مقامها الملائم يساهم في أداء المعنى، كما يحدث قوة في الجرس وإيحاء في المعنى، وتنوع الأبنية ودلالاتها دليل على تفوق الأديب من ناحية اللغة فهو متميز بتميز الصيغ، وفريد بتفرد الدلالات، وهكذا تشكلت عند الأديب لغة ثرية خاصة، فتوظيفه لصيغة المبالغة، واسم الفاعل، واسم المفعول أشاع في خطابه نوعاً من الموسيقى المتوازية.

- التجنيس مظهر من مظاهر التكرار الجلية، وهو وسيلة من وسائل التوصيل المتميّزة، فهو إحدى صور خطاب (الإبراهيمي).

- ورد كلٌّ من الطَّباق والمقابلة بشكل مُلّت في الخطب؛ لكون الطَّباق والمقابلة من أهم وسائل اللغة لنقل الإحساس بالمعنى نقلاً صادقاً عن طريق الثنائيات المتضادة التي تلعب دوراً أساسياً في تقويض انفعالات المبدع إلى جانب إضفاء الجمالية الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - ابن رشيقي، العمدة في نقد الشعر وتمحيصه، شرح وضبط الدكتور عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط2، 2006.
- 2 - ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، علق عليه أحمد حسن يسج، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 3 - أحمد حسن المراغي، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، د ت.
- 4 - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1997.
- 5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المطبعة النموذجية، مكتبة الإسكندرية، د ط، 1989.
- 6 - صلاح الدين الصريفي، جنان الجناس في علم البديع، سمير حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.
- 7 - عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء، عمان، ط1، 2002.
- 8 - فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، جامعة حلب، كلية الأدب، 1978.
- 9 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- 10 - محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، عدد 66، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، صيف - خريف 2002.
- 11 - محمد الهادي طرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، دار النشر، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 1996.
- 12 - محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2002.
- 13 - مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ط1، 1995.
- 14 - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، مصر، د ط، ج 1، 2003.
- 15 - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف المصرية السعودية، القاهرة، ط2، 2004.
- 16 - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14، 2007.
- 17 - نور الدين السد، المكونات الشعرية في بأئية مالك بن الربيع، مجلة اللغة والآداب، عدد 14، د ت.